فيبقى اربعة عناصر يقتضي على الزارع ان يهيئها للنبات واحدٌ منها هو عنصر آلي وهو الازوت والثلاثة الأخرى معدنيَّة وهي الحامض الفسفوري والبوطاسا والكلس فاذا اهملها الفلاح ضعفت تربتهُ وبارت ارضهُ بعد حين وتلفت

# عزاء لجنائز العلماء

## من تأليف مار اليَّا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي الحليم

### سعى بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في المشرق (٣: ٢١٧) ابن الحديثي وتراجمهُ البليغة. ولم نذكر هناك تأليفًا لهُ آخر وهو كتاب الجنازات ضمَّنهُ عدَّة خطب بديعة تعلَّة بالسجع المطبوع تُقال على الاموات على اختلاف طبقاتهم من جثالقة وكهنة وعلماء ومؤمنين. وهذا المجموع استنسخناه في الموصل عن نسخة هدانا اليها حضرة الاب الفاضل بطرس نصري الكلداني الموصلي فاخترنا منها هذه الخطبة بنية وقوع تذكار الموتى في ثاني يوم من تشرين الثاني. ثمَّ اطلعنا على نسخة ثانية من هذه الخطبة محفوظة في كتاب قديم اعارنا اياهُ جناب الوجيه الفاضل بشاره افندي يارد. فقابلنا بين النسختين مبالغةً في الضبط وآلفنا بينهما تتمَّة للفائدة ل. ش

الحمد لله الفاخرة نعمتهُ. الغامرة رحمتهُ. الغامضة حكمتهُ. الفائضة عنايتهُ. الظاهرة شفقتهُ. الباهرة عظمتهُ. القادرة عزَّتهُ. القاهرة سطوتهُ. والشكر لله القديم الذي تأخرت عن قدميَّتهِ قدميَّةُ القدماء. العظيم الذي خضعت لعظمتهِ عظمة العظماء. الحكيم الذي حارت في حكمتهِ حكمة الحكماء. العالم الذي عجز عن علمهِ علم العلماء. نحمدهُ معترفين بجميل نعمائهِ. ومعتصمين بجزيل آلائهِ. شاكرين لسرّ نعمهِ. صابرين على ضرّ نقمهِ. ونثني عليهِ حتى تبطل عنَّا حركات اللسان. يومَ تصيدُنا حبائل الاكفان

يا معشر البشر. فجروا ينابيع العبرات فقد آن لها ان تتفجَّر. وشمِّروا ذيول الخطيئات قد أزف لها ان تتشمَّر. الى مَ سيوف الشهوات تحطم رأس افكاركم. وحتى مَ حتوف الزلّات تهدم أرماس اعماركم. أغمدوا صوارم الخطيئات في أغمدة عمل الحسنات. واعمدوا الى رفع عزائم الجهالات عن أعمدة الميل الى الشهوات. أمطروا صفحات الخدود بامطار العبرات. وكرّروا لمحات العقول في وادي الحسرات. وانظروا (١

١) ويروى: وتبصَّروا

دارا وُجودها عدمان. وَجُودها (١ حرمان. صحتها سقمٌ. وفرحتها غمٌ. نورها ظلام. وناره قتام. شهدها مرّ. وقندها (٢ صَبر. بَردها جمر. ورفدها فقر. حقُّها ضلال. وصدقها محال. فيا لها من دار قد سلبت عساكرُ لذّاتها افكار الخلائق. ودنيا قد حجبت سائرُ شهواتها أنوار الحدائق. حتى غرقت في لجة الآثام أفهام البريّة. ومزّقت في مُهج الانام سهام الخطيئة. قد اضحى المحال مخدوعاً بها كأنهُ صدقٌ. ووافى الضلال المطيع لها كأنهُ حقّ. ألا رادع في هذه الورطة لنار الشهوات والارادات. ألا مقدمٌ على الغبطة في دار الخيرات والساعات. ألا مقدمٌ من الهبطة الى المسرات والكرامات

ما للابصار ناظرة وكأنكم لا تبصرون. ما للاسماع سامعة وكأنكم لا تسمعون. ما للاطفال يسلبون وكأنكم راقدون. ما للشبّان يذهبون (٣ وانتم لا تفطنون. ما للشيوخ يذهبون وكأنكم تخلدون. وكبول الموت (٤ وراء ظهركم وانتم لا تلتفتون. وسيوف القضاء تقصم آثاركم وانتم راقدون ولا تستيقظون. كأن الموت قد سافر عن دياركم. هيهات وعساكرهُ واقفة في مواضع آثاركم. اين علاماتُ الإشعار بالغيوب يا ذوي الآذان. ام اين تقليمُ اظفار الذنوب يا اولي الاذهان. اين حسرات الندم. على عثرات القدم. اين المدامع الهاتنة الى الموعظات. ام اين المدامع السانحة على الخطيئات. اين تقاطُر غزارة عبرات الأجفان. لاطفاء حرارة جمرات النيران. الى مَ هذا التماطل والحتى قد وجب. والى متى هذا التماهل والموت قد قرب. ألعلّكم تؤملون الفرار من الحَطب الملمّ. والقلوب منحوتة من الصخر الاصمّ. حيث يقول المطيع للدار الفاجرة: واحيرتاه. والمضيع للدار الآخرة (٥: واحسرتاه. والمبيع بالدنيا للآخرة: واقهرتاه. حيث لا تُسمع حجّة المتندمين. ولا ينفع مال المذّخرين. ولا يمنع (٦ مفرّ الهاربين. فيا فرحة الزارعين يوم حصاد الغلات. ويا بهجة الطائعين حيث اذّخار الحسنات. ويا حسرة الفاسقين اذا خرق (٧ سنانُ الفضائح. ويا حيرة السارقين اذا نطق لسان الجوارح. ويا مَسرّة المتّقين اذا صدق برهان العمل الصالح. يوم يعلم الابرار حقّ مقامهم في دار النعيم. ويفهم الاشرار صدق دوامهم في نار الجحيم. فيا لها رقعةً ما أرقّ أحكام صيارها. وما افرقّ اضطرام جمر نارها. آهًا

---

١) ويروى: وجودها ٢) يريد مكّر القند ٣) اي يُسرعون الى القبر. الشهب الركض. او يُنهبون اي تُنهب اعمارهم ٤) اي قيودهُ جمع كَبْل ولعلّها تصحيف خيول ٥) ويروى: الفاخرة ٦) ويروى: ينجع ٧) ويُروى: احدق

لساعةٍ ما امرَّ الحسرات في جوارها. وما اضرَّ الزفرات في نارها. وما أحرَّ العبرات في قرارها. وما أحلى مذاق اثمارها. وما اشهى أوراق اشجارها. وما اقرَّ الابصار بشريف ازهارها وانوارها. وما أسرَّ الافكار بلطيف اسرارها. لمثل هذه الساعة فليزرع الزارعون. ولمثل هذه الوَقعة فليبذر الجامعون

نبهوا الافكار من رقدة الخطيئة. قبل ان ترقد الابصار الرقدة الابديَّة. تجمَّلوا (١ فهذا سبيلكم. وتحمَّلوا (٢ فقد دنا رحيلكم. كأنكم بروُس أقدامكم وقد لحقت اعقابَ السالفين. وطروس أيامكم وقد التصقت في صحائف الاولين. وكانكم بلحظات الاطراف وقد جمدت. وجمرات الاطراف (٣ وقد بردت. وحركات الاعطاف وقد خمدت. وبالوجوه البهيَّة وقد قتمت. وبالنواظر المضيئة وقد عتمت. وبالاعناق المستقيمة وقد مالت. وبالمحاسن الجميلة وقد استحالت. كانكم بصادم الموت وقد أبرق. وبريق المنون وقد تألق. وبقرب الساعة وقد اقلق. وبجمع الاحباب وقد تفرَّق

وان عتمت عندكم الرزايا. او نسيتم حلول المنايا. فانظروا الى هذه الحادثة المفجعة. وتفكَّروا في هذه المصيبة المقمعة. واعتبروا بما حلَّ عندكم من الرزيَّة. الجديدة الزريَّة. وابصروا من شيَّد ورفع. وبدَّد وجمع. وتاه في الدنيا تيه الخالدين. واجتهد فيها اجتهاد المؤبدين. وحرص في تحصيل الدرهم والدينار. وعمَّر ما دثر من المنازل والديار. وماثل في السماء. رتبة الجوزاء. كيف صالت عليه عساكر القضاء. فأصبح بعد العزَّة غرير العزاء. وعهدي بعد ذلك العزِّ المنيف. والمحلِّ الشريف. وهو يتقلَّب بطنًا وظهرًا. ويتحسَّر سرًّا وجهرًا. وينظر الى المال والاموال شزرًا. يبسط يدهُ اليمنى. ويجمع رجلهُ اليسرى. فلا يقلع جرَّةً (٤ الَّا وفي اثرها أخرى. حتى اذا أبرق يمانيُّ الحدق (٥. وأحدق (٦ رديني الفرق (٧. واشتدَّت منايا مصابيه. وامتدَّت حنايا حواجبه. وانسدَّت أبواب مطالبه. وانهدَّت اسباب مطالبه. وانقطع رجاء اقاربه. وارتفع حجاب جانبه. لا يكاد يُردِّد الطَّرْف بين الالحاظ والاغماض. الَّا وقد اختلط السواد بالبياض. وظلَّ يتجرَّع أمرَّ الكاسات من امرَّ الحياض

---

١) اي اصبروا ٢) ويروى: وتكمَّلوا ٣) الأطراف الاولى من الطَّرْف والثانية من الطَّرْف ٤) ويروى: حسرة ٥) ويروى: اشائم القلق ٦) ويروى: احرق ٧) ويروى: المرق

فيا لهُ من حبيب لا يلوي على أحبابهِ . وترب اشفاتهُ المصيبة عن أترابهِ . طريحاً كثيباً حسبهُ ما بهِ . فواهاً للادغ لا تُرقى (١ الدغتهُ . وراحل لا تُرجى عودتهُ . وراقدٍ لا تُرى يقظتهُ . قد أيقن بسفرهِ الى الابد . واذعن بمفارقة الاخ والولد . فهذه غاية الخلق فاين رأيُ الآمالين . وهذه آية الحقّ فما قول العالمين . وقد انذر في انجيلهِ الصادق كلّ العالمين . وأعلن قائلاً للسامعين : سيظهر برهان الآخرة يقيناً وتُبصر الدنيا محالاً . وتعبر الخراف يميناً وتُقهر الجدى شمالاً . فتكسب طول المدى نكالاً ووبالاً . يوم يميز الملك بين الصنفين قائلاً للابرار : ادخلوا الدار الالهيَّة المعدّة لكم قبل وجود الزمان . وعزاً نحو الاشرار أن : احلوا الى الدار الابديَّة المعدَّة لجنود الشيطان . فسبيل العاقل . اللبيب الفاضل . أن لا يغترَّ بهذه الدنيا الزائلة . بل يفتكر بالموت وحلول فجعاتهِ الهائلة . فهو الغريم الذي لا يُبقي . والمستقرض الذي لا يوفي . والسارق الذي لا يستحي . فكأسهُ مرّ . ومنظرهُ فزع لا يبرّ . وهيبتهُ شديدة . وساعتهُ رهيبة . وامرتهُ اكيدة فويل لمن لا يستعدّ لنفسهِ قبل النظر اليهِ . ويستيقظ قبل قدومهِ عليهِ

فنقر الله لمن سارع الى معالجة دائهِ . من قبل ان يعزّ وجود دوائهِ . وقبل ان يبرد العرق . ويشتدّ القلق . و يميل العنق . وسامح الله لمن اسبل ذيول الحسرات . وأسدل هطول العبرات . على ما صنع من الجيالات . لا على مفارقة الضيف الراحل عنّا . والعضو المنفصل منّا . الاخ الحقيق . والصديق الشفيق . « فلان » اخيكم وحبيبكم ( وان كان الذي توفي كاهناً تقول عنهُ هكذا : ) ومقدّس قرابينكم والرافع يديهِ الى الله سبحانهُ سائلاً غفران خطاياكم . ( وان كان علمانياً تقول : ) ومن كان يلوذ بكم . فهو الآن ملقىً امامكم . صامت اللسان عن مناجاتكم . مودّع لكبيركم وصغيركم . وداع من لا يؤمل الاجتماع بكم . وعزيز عليهِ مفارقتكم . يسأل قدسكم ويتضرّع امام محبّتكم . ان تغفروا لهُ ما سلف منهُ لكم . وتجعلوهُ في حلّ من كل قلوبكم وخالص نيّاتكم . وتذكروهُ بالرحمة والمغفرة عقيب صلواتكم . فقد كان في حياتهِ يطلب من الله سبحانهُ من اجلكم وهو الآن يغتنم طلباتكم وصالح ادعيتكم

واعلموا انَّ هذه الرزيَّة تجلُّ عن التعزية . ويقلّ دونها بلوغ التسلية . فلتصبرنَّ على

١) اي لا تشفى برقية الساحر

حكم الله تعالى ثقةً منّا بوعده . ولنعوض الاكتساب . بالاحتساب . ولنقابل القضاء . بحسن التسليم والرضى . مع علمنا انّ الله نيّح روحهُ فرحل عن محلّ الشقاء . واستقرّ في دار البقاء . فاصل الدارَ الحسنيَّة . وواصل الدار المقليَّة . وظعن عن منزل الحسرات . وقطن في محلّ الخيرات . فارق النقطة الكثيفة الترابية . وقارب الدائرة اللطيفة السماويَّة . انتقل عن رَبع الندامة . ودخل في حمى الكرامة (١ . وكأنّي به وقد وجد الراحة الشريفة . واللذّة الطاهرة اللطيفة . في المنازل التي لا عين نظرت بهجاتها لبعدها من الكثائف الارضيَّة . ولا اذن سمعت لحن نغماتها في التسبيحات الالهيَّة . فسبحان منشئ البريَّة . وواهب هذه العطيَّة السنية . والموهبة الحسنة الزكيَّة . وذلك لما قدَّمهُ من الاعمال الفاضلة الرضيَّة . فتغفر لهُ ما سلف من خطاياه . واسكنهُ فردوس النعيم مع ابراره واصفياه . واوقفهُ يوم الدينونة عن يمينهِ مع قديسيهِ ونجبائه

وتحقّقوا ايها الاخوة انّ الموت محتوم على الصادر والوارد يلحق بكل مولودٍ ووالد . وحكم الله لا يُدافع . وقدرهُ البارّ لا يُمانَع . واعلموا انّنا جميعنا فانون . والى ما صار اليهِ هذا الاخ « فلان » صائرون . والى الحساب والمجازاة ماضون . فلا مالٌ ينفع . ولا ولد يشفع . ولا شفاعة تُقبل عند حاول الموت وتلك الساعة الهائلة . وعدل الله استبان لنا في مساواة كاسهِ المرّ . بين الشريف والدني . والضعيف والقوي . والحليم والأُمي . فجعلنا

---

(١ وقد جاء في النسخة البيروتية ما نصّهُ . « فلا تحزنَّ عليهِ كمن لا رجاء لهُ . ولا تبكينَّ عليهِ كمن لا يقين بهِ . فذلك يليق بالوثنيين . والقوم الثانهين . الذين لا يقرُّون بالقيامة والحساب . ولا يرجون بالآخرة نعيماً ولا عقاب . بل نتيقّن حقّ اليقين . ونؤمن ايمان المصدقين . انّ نُفُلنا اذا ما عملنا وصايا ربّنا وسلكنا طاعة سيدنا هي من الارض الى السماء . ومن الظلمة الى النور ومن الزوال الى الذي لا يزول ومن الحزن الى الفرح ومن الشقاء الى النعيم والبقاء الذي لم تنظرهُ عين ولم تسمع بهِ اذن ولا خطر على قلب بشر . وذلك امتثالاً لمراسيم ربّنا وثقة بمواعيد خالقنا : ان الذين يعملون بوصاياهُ يرثون الخيرات التي اعدَّها لهم في دار النعيم والذين يعصونهُ يخلدون في الظلمة الابديَّة والنار السرمدية . بل ينبغي لنا اذا بكينا ان يكون ذلك على ما فرط منّا من الجرائم لانَّ الندب والعويل . والبكاء الطويل لا ينفع المتوفّى البتّة لان سيّدنا لذكرهِ السجود لمَّا حضر عند قبر العازر وقامهُ انّما دمع لا غير تعليماً لنا ألّا ندب طويلاً ونكثر عويلاً على موتانا كمن لا رجاء لهم والمتوفى ليس ينفعهُ بعد الممات غير القداسات والصلوات والتذكارات الدائمة . . . »

وهذا الختام لا أثر لهُ في النسخة الموصلية ولعلَّهُ زيد على النسخة البيروتية بيد احد نُسّاخ الروم الملكيين . لان فيهِ ما يُشعر بأصلهِ الملكي وقد ضربنا عن رواية قسم منهُ صفحاً لقلّة فائدتهِ

الله وايّاكم. مستعدّ تطلّب علّته. قبل تاهّب غلّته. واستعدّ للقاء. ربه. قبل شقاء نفسه. وتأهّب للشمول بالرحمة. قبل النزول في الظلمة. واستوجب الخلود في النعمة. قبل حلول النقمة بشفاعة السيدة الطاهرة البتول والدة الرحمة. وام الحياة. ذات الطوبى والشفاعات. وبجميع الملائكة والانبياء. والرسل الابرار. وجميع القديسين والقديسات الاحرار. امين

# سياحة حديثة في جبّة بشرّاي

للاب لويس رزق الله اليسوعي (تتمّة ما سبق)

٢

قد ليلة قضيناها في قلالي دير مار سركيس ما كان اهنأها عقبها صباحٌ استبشرنا من بلجته الخير وبسط النفس. فقمنا عند ابتسام فجر الخميس وسرنا بنشاط الى وادي الارز. فكانت طريقنا في بادئ الامر عسرة صعبةً المرتقى حتى بلغنا بعد قليل نهجاً سوياً سلكناهُ فافضى بنا بعد ساعة من الزمن الى الهضاب التي تنتصب فوقها غابة الارز. فشينا مدّة دون ان نراها بالعيان ونحن على نجوة تعلو الوادي الذي عند منتصفهِ يتبجّس نهر قاديشا ويفور بدويّ عظيم فوقفنا هنيهةً لنُشبع النظر بالمشاهد التي كانت محدقةً بنا: الكمل وراءنا ومن عن شمالنا. وبازائنا تنتف مستوٍ كأنهُ الجدار تضاهي قمّتهُ قمة ظهر القضيب علواً. وعند اقدامنا نبعٌ فوّار يُسمع لهُ شبه هزيم الرعد ويسيل مزبدًا الى سواة الأودية المتّصلة بعباب البحر. فذكّرتنا هذه المناظر وصفًا انيقًا للشاعر الفرنسي لامارتين أطنب فيهِ على هذه الانحاء. فأوغل

ثمّ ما لبثنا ان بلغنا الى غياض الارز وهي لا تظهر كلها معاً لان موقعها كما سبق القول على عدّة نجوات تختلف في ارتفاعها ولكن ما لاح لنا منها لاول وهلة أعجبنا. فراقنا منها لونها الشديد الخضرة وجذوعها المرتفعة وافنانها الممتدّة على شكل طبقات متفاوتة مخروطة الرأس رائعة المنظر. وفي مقدمتها ارزة كاملة الصورة بهجة المنظر جامعة لمحاسن أخواتها تخيّرتها جريدة الارز الغرّاء. فاتخذتها كشعار تزين بهِ كل اعدادها وقد جعل لحرج (حرش) الارز سُور يُحدق بهِ من كل جهاتهِ فيصونهُ من الماعز وايدي